ميلادُ الحكيم

الزمان: 1234 ق. م..

المكان: مِصر... أرضُ الله... وبالتحديد في صرح أمنحتب الحكيم المصري القديم..

دار ذلك الحديث..

أمنحتب: ماذا تقول؟! هلا أعدت على مسامعي ما قلته مرة أخرى؟!..

الوصيف: نعم، بالطبع.. لقد ذهبتُ إلى مولاي «بُرعا» الفرعون المعظم.. وقلت له ما أمرتني بالحرف الواحد.. لقد قال لي مولاي المعظم: إن الأمر يحتاج إلى دراسة دقيقة متأنية ويجب علينا أن نتمهل قليلاً، لأن الأمر خطير وأية أخطاء غير محسوبة قد تودي بحضارتنا بأكملها..

أمنحتب: أنا لا أصدق أن مولانا الفرعون المعظم بهذه السلبية.. امتُقع وجه الوصيف وهو يستمع إلى أمنحتب الذي نعتَ الفرعون بالسلبية والذي أكمل قائلاً: أنا أرى أن هذه السلبية هي التي ستودي بنا جميعاً.. فها نحن على أعتاب القرن الرابع

والثلاثين.. ونتنظر جميعاً الطامة التي ستحيق بنا كلنا بلا استثناء دون أن نحرك ساكناً.. وعندما أصل أنا أمنحتب الثالث بما أوتيته من علم إلى السفينة التي قد تنقذنا جميعاً.. لا يعيرني الفرعون أية اهتمام أو عناية.. ويقول ببساطة: إن الأمر يحتاج إلى دراسة دقيقة متأنية!!

الوصيف: ولكنك يا سيدي تعلم أن مولاي الفرعون المعظم مشغول الآن جل الانشغال بالاستعداد ليوم الزينة خاصةً بعد أن تحداه ذلك الساحر الذي يدَّعي أنه رسولٌ من عند الله على الرغم أن مولاي الفرعون قد رباه وليداً في قصره وعامله كابن له.

أمنحتب: أنت تعرف مثلي تماماً أن ذلك الرجل ليس بساحر.. وربما الذي لا تعرفه أن مولاي الفرعون يضيع وقته بالاستعداد لذلك التحدي لأنني ببساطة شديدة أعرف النتيجة مسبقاً..

الوصيف: (وقد ازداد امتقاع وجهه) ماذا تقول يا سيدي؟! تعرف النتيجة؟! وكيف لك..

قاطعه أمنحتب وهو ينظر خارج الحجرة نظرةً لا تخلو من إيمان: كيف ماذا يا عور هلخ.. وهل من الصعب على حكيم مثلي أن يتنبأ بنتيجة تحدٍ بين جبار ظالم ورسول صادقٍ كريم.. ؟!..

نظر إليه عور هلخ بدهشة رهيبة وقال: سيدي هل.. هل..؟

قاطعه أمنحتب بصرامة قائلاً: نعم.. نعم يا عور هلخ.. لقد أسلمت لرب الوليد.. وآمنت بما أُنزل على رسوله..

عور هلخ: ولكن يا سيدي إن الفرعون قد جمع السحرة لميقات ذلك اليوم.. وسيكون من الصعب..

أمنحتب مقاطعاً: اصمت يا عور هلخ.. اصمت.. سترى بنفسك كل شيء يوم الزينة.. سترى بنفسك..

ساد الحجرة صمتٌ مطبق اخترقه صوت عور هلخ قائلاً:

وماذا عن مشروعك لإنقاذنا يا سيدي؟

أمنحتب: آه... لقد قررت أن أقابل الفرعون بنفسي لأشرح له الموقف.. فإن أبى فسيكون من الخاسرين وفي هذه الحالة لن ترني بعد يوم الزينة إلا بعد فترة كبيرة يا عور هلخ.. كبيرة جداً.. جداً..

قال عبارته الأخيرة وهو يفتح باب صرحه مستعداً للخروج لمقابلة الفرعون، وكاد أن يغلق وراءه الباب إلا أن عور هلخ استوقفه قائلاً: سيدي..

نظر إليه أمنحتب فتردد عورهلخ ثم حسم أمره قائلاً: سيدي

هل لك أن تقول لي كيف يتأتى للمرء أن يدخل ذلك الدين الجديد.. ؟

ابتسم له أمنحتب ثم صمت قليلاً وقال له باعتداد: إنه الإيمان يا عور هلخ.. الإيمان.. وأغلق الباب خلفه برفق ومن وراءه عور هلخ الذي وقف لا يحرك ساكناً مشدوهاً وقد سالت من عينيه دمعةٌ ساخنة شقت طريقها عبر وجنتيه، ثم سقطت إلى أن ارتطمت بالأرض فتناثرت أجزاؤها وتناثرت معها خطاياه واقشعر جسده من أخمصه إلى أعلاه.. وهوى ساجداً... وذاب في رحاب الإيمان.. واقترب..

* * *

الزمان: اليوم التالي...

المكان: قصر «بُرعا» ـ الفرعون..

خطا أمنحتب خطواتٍ واثقةً تردد صداها في جميع أنحاء الردهة وهو يرد تحيات الجنود بإيماءة واثقة برأسه.. إلى أن وصل إلى باب الفرعون الذهبي، فاستوقفه أحد الجنود قائلاً له بحزم:

ـ لا يمكنك الدخول إلا بأمر الفرعون المعظم..

رد عليه أمنحتب بضجر:

ـ قل له: أمنحتب.

رد عليه الجندي برتابة:

ـ لا يمكنك الدخول إلا بأمر الفرعون المعظم..

كاد أمنحتب أن يتفوه بكلمة إلا أن الباب فتح فجأة وخرج منه رجلان.. انتهز أمنحتب الفرصة وطالب الجندي أن يدخل ليسأل الفرعون أن يدخله.. ففعل.. سمع أمنحتب الرجلين يتحدثان معاً بصوت خفيض وسمع أحدهما يقول للآخر:

ـ أحسنت يا مربلاح.. لقد أخذنا منه العهد والأجر مسبقاً وهذا كل ما نبغيه..

رد عليه مربلاح مبتسماً:

ـ نعم، وهل سمعت عندما قال لنا: إننا سنكون له من المقربين؟ هل تعرف معنى أن نكون مقربين للفرعون المعظم؟! سنكون أشهر السحرة على الإطلاق، سنكون أغنى الأغنياء.. بل سيكون لنا مثل ما أُوتي قارون: وكل ذلك في سبيل أن نتحدى ذلك الساحر الجديد.

رد عليه الرجل الأول بحيرة:

ـ ولكن أتعرف يا مربلاح، ذلك الساحر يثير حيرتي حقاً فهو قد تربى في قصر الفرعون ولم نسمع عن سحره هذا إلا في الآونة الأخيرة.. فضلاً عن ذلك أن تلك الحيل التي يفعلها لم نسمع

عنها من قبل في فنون السحر.. ثم إن ذلك الرجل كان معروفاً عنه الصدق والأمانة الشديدين.. ثم إن..

ـ ثم إن ماذا يا جربلاح؟ هل فتنك الرجل إلى هذا الحد؟! أنا شخصياً لا يهمني كل ذلك.. كل ما يهمني هو أجر الفرعون لنا إن كنا نحن الغالبين..

أومأ جربلاح برأسه موافقاً: نعم يا مربلاح هذا هو المهم.. ويجب ألا ننسى أن موعدنا يوم الزينة ويجب أن نستعد..

في هذه اللحظة فتح الجندي الباب ونادى على أمنحتب أن يدخل إلى حجرة الفرعون.. ففعل..

خطا أمنحتب خطواتٍ واثقة إلى الداخل غير مبالٍ بفخامة المكان المطرز بالذهب والأحجار الكريمة ولا مبال بأولائك الغيد اللائي وقفن حول الفرعون من كل جانب.

تقدم أمنحتب نحو ركن الفرعون المظلم وقال له ثابتاً:

ـ مولاي فرعون مصر العظيمة.

أشار إليه الفرعون أن يجلس.. ثم أشار إلى جميع من في الغرفة أن يغادروها.. ثم التفت إلى أمنحتب وبدأه بالسؤال قائلاً:

ـ ماذا فعلت يا أمنحتب بخصوص ظاهرة الجراد الذي ينقض علينا من الجنوب؟

قال له أمنحتب:

هذه الظاهرة غير مفهومة البتة ولم نصل حتى الآن إلى وسيلة للتغلب عليها.. ثم أردف قائلاً: ولكنني جئتك اليوم لأحدثك عن موضوع أكبر من ذلك بكثير.. موضوع خطير قد يقضي علينا جميعاً..

قام الفرعون من مجلسه المعظم ثم قال:

آه. هل تقصد موضوع الوليد؟! إن ذلك..

قاطعه أمنحتب بسرعة:

لا، لم أقصد ذلك الموضوع.. ثم أردف بسخرية لم يلحظها الفرعون: فذلك الموضوع محسومٌ تماماً، وإنما أقصد موضوع التسرب النووي الذي حدث في معبد الرمسيوم..

قاطعه صوت غاضب قائلاً:

إشاعات.. كلها إشاعات.. لم يحدث أية تسرب في الرمسيوم أو في غيره وأتحدى من يأتي بعكس ذلك..

التفت أمنحتب إلى مصدر الصوت ثم ابتسم بتهكم وقال: لقد ظننت أن مولاي الفرعون قد أمر الجميع بمغادرة المكان!! ثم أردف بتهكم: صديقي هامان.. هل انتهيت من بناء الصرح الذي أمرك به الفرعون ليطلع على إله الوليد؟! نعود إلى موضوعنا..

كل الدلائل العلمية وبحوثي تؤكد أن ذلك التسرب قد حدث بالفعل.. وأن نتيجته ستكون وخيمة... وخيمة جداً.

رد عليه هامان بصوت هادر:

كذب.. ثم التفت إلى الفرعون وقال: كذب يا مولاي.. لا تصدق ذلك المفتري.. فكل معابدنا تُستخدم لأغراض دينية أو أغراض فلكية.. ولا يوجد ما يسميه أمنحتب بالمفاعل النووي في الرمسيوم أو في غيره.. أؤكد لك..

قاطعهما الفرعون بحسم قائلاً: كفاكما. سأبحث أنا ذلك الموضوع بنفسي وسأرى من منكما الصادق ومن الكاذب.. أما الآن فدعونا نناقش أمر موسى.

قال هامان بتهكم: أنا لا يشغلني أمر موسى فمربلاح وجربلاح قادران عليه بإذن مولاي فرعون مصر العظيم.. ثم أردف في خبث:

أنا يشغلني أكثر أمر أمنحتب!

نظر إليه أمنحتب بصرامة والتفت الفرعون إلى هامان وقد عقد حاجبيه وضاقت عيناه قائلاً: ماذا تعني يا هامان؟ إن أمنحتب من أخلص علمائنا وحكمائنا فأفصح عما بداخلك الآن..

أشار هامان بيديه في حركة مسرحية وكأنه كان ينتظر تلك

اللحظة وقال: أمر مولاي فرعون مصر العظيم: وكاد أن يتفوه بشيء إلا أن أمنحتب قاطعه موجهاً كلامه إلى الفرعون: مولاي فرعون مصر العظيمة..

قاطعه هامان في خبث: تقصد العظيم!

لم يلتفت إليه أمنحتب ومضى قائلاً: مولاي، لا تسمح لهامان أن يغيِّر مجرى حديثنا فقد جئتك اليوم لأمر جلَل وما هو بالهزَل لقد جئتك اليوم؛ لأن ذلك التسرب النووي سيقضي على كل أخضر ويابس في الأرض.

سكت الفرعون قليلاً ثم قال: لقد قلت أنني سأبحث ذلك الموضوع بنفسي بعد أن أفرغ من أمر موسى. ولكن قل لي يا أمنحتب: ماذا أعددت لهذا الأمر إن كان صحيحاً؟ لقد قال لي عور هلخ: أنك توصلت إلى شيء بصدد تلك المأساة إن كانت حقيقية.

قال له أمنحتب وهو يعتدل في وقفته: مولاي لقد أظهرت أبحاثي أننا في مرحلة متأخرة جداً الآن وأن نتيجة ذلك التسرب الإشعاعي ستكون بعد أقل من شهرين وخطتي تتلخص في استغلال إمكاناتنا في علم التحنيط والحفظ كخطوة أولى ثم..

سكت فجأة فعاجله الفرعون قائلاً: ثم ماذا يا أمنحتب؟

قال أمنحتب: مولاي أرجو أن تأذن لي في جلسة انفرادية..

نظر الفرعون إلى هامان الذي كان يصغي منتبهاً ثم قال له:

اذهب أنت يا هامان لتكمل الاستعدادات ليوم الزينة.

قال هامان وهو ينظر في عين أمنحتب: أمر مولاي ثم انصرف في هدوء.

التفت فرعون إلى هامان قائلاً: ها نحن وحدنا يا أمنحتب.. كلي آذانٌ صاغية.

تنحنح أمنحتب ثم قال: إن خطتي تتلخص في نقطتين يا مولاي: المرحلة الأولى هي مرحلة التحنيط والمرحلة الثانية هي.. سكت للحظة ثم استجمع شجاعته وقال: المرحلة الثانية هي الاستنساخ يا مولاي..

نظر إليه فرعون لمدة ليست بالقصيرة ثم قال متسائلاً: الاستنساخ؟!

ماذا تقصد يا أمنحتب؟!

قال أمنحتب: مولاي كما قلت لكم: إننا الآن في مرحلة متأخرة جداً ومعبد الرمسيوم هو آلة موقوتة ستنفجر في أي لحظة وستودي بنا جميعاً إلى الدمار، وبعد أبحاث مضنية توصلت إلى أن الحل يكمن في حفظ أجسادنا وتحنيطها ثم أخذ خلية من أجسادنا وتركها محفوظة مع الجسد حتى يجدها أحفادنا

ويقومون بعملية الاستنساخ ونولد من جديد في عالم جديد وننجو من تلك المخاطر..

انفجر الفرعون ضاحكاً على غير عادته ووقاره ثم قال بغضب: ما هذا الهراء يا أمنحتب؟! إن ما تقول أسخف من مسرحية رديئة تعرض على مسرح الكرنك!

قال له أمنحتب: مولاي أنا أعلم أن الأمر صعب التصديق ولكنني جربته على بعض الفئران ونجح. صدقني هذا هو الحل الوحيد لـ..

قاطعه الفرعون: اصمت يا أمنحتب! اصمت.. لن أسمح لك أن تهزأ بفرعون مصر العظيم ثم إن أخبارك تأتيني أولاً بأول فقد جاءني أنك آمنت بموسى الوليد؟ ماذا أنت قائلٌ في ذلك؟!

ازدرد أمنحتب ريقه ثم استجمع شجاعته وقال: مولاي إن الأمر أخطر مما نتصور جميعاً وحفاظاً على وحدة مصر الوطنية أرجوك أن تلتفت إلى ما أقول.

قاطعه الفرعون مرة أخرى: ولكنك لم ترد عليَّ يا أمنحتب هل صبأت؟

هل آمنت برب موسى الوليد؟..

قال له أمنحتب في محاولة أخيرة: مولاي أنت تعرف أن عملية التحنيط تستغرق أربعين يوماً وعملية استخراج الخلية

ستستغرق حوالي أسبوع إذاً سيبقى لدينا أسبوعين أو أقل قبل أن تحل علينا الكارثة جميعاً..

نظر إليه فرعون بعمق ثم برَق عينيه قائلاً: إذاً أنت لم تصبأ فحسب بل إنك تروّج لإشاعات لخلخلة نظام حكمي وتروّج وتحبذ لأفكار تخالف ديننا العظيم، بل إنني أظن أنك متواطئٌ مع موسى وتريد أن تقنعني بعملية التحنيط حتى تستطيعا أن تتخلصا مني.. سكت برهة ثم أردف قائلاً بصرامة: اسمع يا أمنحتب أنت تعلم أنك كنت دائماً أخلص وأحكم علمائي ولذلك سأعطيك فرصة أخيرة ولتكن شهرين كما قلت أنت لأثبت لك أنه لا يوجد تسرّب نووي، وحتى ذلك الوقت سنفرض عليك الإقامة الجبرية في منزلك حتى نتخلص من موسى ومَن معه وبعدها لعلك تكون قد عدت إلى رشدك.

هدأ أمنحتب وكأنه توصل إلى شيء ثم قال في هدوء: أمر مولاي فرعون مصر العظيمة.. هل يأذن لي مولاي أن أنصرف. أشار إليه فرعون أن انصرف ففعل وهو ماضٍ فيما عقد العزم عليه..

* * *

مضت الأيام بطيئة وأمنحتب منكب في منزله ومعمله على أبحاثه..

«هل ما زلت مصمماً على ذلك يا سيدي»؟

التفت أمنحتب إلى عور هلخ ثم قال: نعم يا عور هلخ إن ذلك هو الخلاص الوحيد. ثم قال بحيرة: عور هلخ.

قال له عور هلخ: تحت أمرك يا مولاي.. أردف أمنحتب: إذا أسعدك القدر أن تقابل موسى فأبلغه مني السلام. قل له يا عور هلخ إنني أعلم أن ما جاءه هو ما جاء به يوسف الصدِّيق من قبل. قل له يا عور هلخ: إنني أمنحتب حكيم مصر العظيمة آمنت به وأسلمت لله رب العالمين.. وقل له أيضاً: إنني أعاهده إنني سأعمل على نشر دعوته في أي مكان أكون فيه.. ثم أردف بخفوت وبصوت لم يسمعه عورهلخ: وفي أي زمان..

* * *

الزمان: 2011

المكان: مصر.. أرض الله... وبالتحديد في فندق فخم بالهرم وفي قاعة مكتظة بحشد كبير من الناس وقف رجل في أواسط الخمسينات عدَل من نظارته ثم قال: أيها السادة والسيدات إن الكشف العظيم الذي توصلنا إليه في العام الماضي وهو الكشف عن مقبرة حكيم مصر القديمة هو كشف عظيم وما هو أعظم منه هو الأبحاث التي استطاع علماؤنا أن يوظِّفوها علمياً

وعملياً على هذا الكشف العظيم.. سكت قليلاً وتأمل وجوه الصحفيين وكبار رجال الإعلام والوزراء الذين اكتظت بهم القاعة ثم أردف قائلاً: لقد استطعنا أيها السادة والسيدات أن نتحصل على خلية حية من مومياء حكيم مصر القديمة أمنحتب الثالث واستطعنا أن نستنسخ تلك الخلية وبات الحلم حقيقة سهلة المنال وحتى لا أطيل عليكم ها هي المفاجأة التي طال انتظارها: أشار بيده فدخلت إحدى السيدات تحمل طفلاً رضيعاً أخذ يبكي بكاءً طويلاً تردد في القاعة وسط عيون الناس المشدوهين فقد كانوا ينظرون إلى التاريخ.. كانوا ينظرون إلى أمنحتب آخر في زمن آخر.....

وسجّل التاريخ في زمنٍ جديد ميلاد الحكيم....